كتاب

يوميات ألماني مسلم

تأليف
دكتور ويلفريد هوفمان

يوميات ألماني مسلم

الرجل الألماني الذى أسلم وكتب هذا الكتاب هو الدكتور ويلفريد هوفمان سفير ألمانيا **الحالى** فى المغرب... واتخذ بعد إسلامه اسما جديدا : «مراد» بمعنى الهدف يرمز بهذا إلى أن **الإسلام**، بعد رحلة طويلة من دراسة الأديان والحضارات، كان أعز أهداف حياته..

المؤلف دكتور مراد ويلفريد هوفمان

وقد جاء اعتناقه الإسلام سنة ١٩٨٠ تتويجا لسنوات متصلة من الدراسة والتفكير والمقارنة النافذة بين حضارة الغرب وأيديولوجياته وبين الإسلام وعطاءاته على مستوى الفرد والمجتمع.

وقد أثار إسلام الدكتور مراد ويلفريد هوفمان سفير المانيا، قدرا كبيرا من الاهتمام والحرج معا فى الغرب إلى الحد الذى حمل بعض المسئولين على إخفاء إسلامه... ولكنه، **اختار**.

إنها مقومات الإسلام الإنسانية والثقافية والجمالية، وراء هذا الاختيار. يقول «محمد أسد» وهو نمساوى أسلم، فى تمهيده للكتاب أن الدكتور السفير مراد ويلفريد هوفمان (دفعه نفوره من حضارة الغرب.. حضارة التكنولوجيا الحديثة المادية، وكذلك من عقم الفكر السيسولوجى الغربى وما ينطوى عليه من إنكار لكل القيم المتعلقة بمصير الجانب الروحانى فى الإنسان إلى اكتشاف التناسق بين الأشكال الفنية فى العالم الإسلامى

والنظرة الدينية لأبنائه، وهذا هو الاكتشاف الذى أوضح له فى حينه، الارتباط الوثيق بين الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية ذاتها).

ولم يقف اكتشاف الإسلام فى الغرب، على السفير الدكتور ويلفريد هوفمان، وليوبولد فايس (محمد أسد) بل اعتنقه من المثقفين والفنانين الغربيين، البريطانيون «ريتشارد بيرتون» و «مارمادوك بكتال» و «مارتن لنجز» و «كات ستيفنز».. ومن الفرنسين: «لويس ماسينيون» و «رينيه جينو» و «ايفا دى فترای ميرروفيتش» و «روجيه جارودى» و «موريس بيجار».

حاضرت فى احدى السنوات فى جامعة واشنطن وكان موضوعى:

(الإسلام وراء الفنون فى البلاد الإسلامية) ... وإذا بى أفاجأ عند قراءة كتاب السفير الألمانى الذى اعتنق قلبه الإسلام وعانقت روحه، جوهره يقول (إن الدين الاسلامى يتمتع بالقدرة على ترجمة جوانب معينة من العقيدة إلى مبادىء جمالية. وهو ما يمكن للمرء أن يشهده على سبيل المثال، فى مبانى وباحة قصر الحمراء فى غرناطة.. أو فى المساجد المميزة مثل تلك التى توجد فى قرطبه والقيروان والقاهرة... ومنطقة الحرم فى قلب مكة.

وهو يرجع هذا إلى عدة عناصر:

- المثل الأعلى الخاص بالبساطة فى الواجهات الخارجية للقصور الإسلامية والتى تكاد توحى للمرء بالمسلمة الجميلة التى تسدل الحجاب على وجهها عندما تغادر دارها.
- الطابع الديمقراطى اللاطبقى للإسلام الذى يغلب على تصميم أماكن العبادة الإسلامية.
- الدرجة العالية من التجريد، والتى تتفق مع جلال الله عن الوصف عند المسلمين.
- الأبعاد الإنسانية فى تكوين النسب المعمارية، والتى تعكس حرص الإسلام على التوازن، والاعتدال، ومنهج الوسطية فى معالجة كل الموضوعات.
- تجرد أماكن الصلاة من المناخ السحرى (الذى يدل على خلو الإسلام من الطقوس والأسرار المقدسة والغموض).
- تصميم الحدائق بوحى من وصف القرآن للجنة.

وقد أدرك الكاتب العالم أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى كتب إثر نزوله وهنا يقول : (على ضوء هذه الخلفية والتجارب المؤسفة التى مرت بها عملية ترجمة الإنجيل من الآرامية عبر الإغريقية واللاتينية، إلى الانجليزية والفرنسية أو الألمانية، أيكون من المثير للدهشة إذاً أن يبدى المسلمون خشوعا إزاء أصغر نص من نصوص القرآن الأصلية، فلا يلمسونه إلا بأيدى وأبدان طاهرة؟) .

وقد نفذ د. مراد ويلفريد هوفمان إلى العلاقة المباشرة بين الفرد وربه فى الإسلام (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) البقرة الآية ٢٥٥

مواقف كثيرة فى هذا الكتاب تشير الى أن إسلام صاحبه لم يكن حماس ساعته ولكنه إسلام مشغول على مهل بعد دراسة وتمحيص واكتشاف ويقين... رأى المهتدين إلى الإسلام يتمتعون بحاسة اهتداء إلى الطريق المستقيم هادئة ومطمئنة، ومن ثم يبدون فى تناغم بهيج مع أنفسهم وبيئتهم.

ورأى المنطق الفكرى النموذجي لمعتنق «اللاأدرية» يفتقر إلى الذكاء، وأن الإنسان لا يملك ببساطة الهروب من اتخاذ قرار بالإيمان، وأن خلق الكائنات التى توجد حولنا هو أمر واضح، وأنه مما لاشك فيه أعظم انسجام ممكن بين الإسلام والحقيقة الكلية.

يقول (وهكذا أدركت، وقد هزتنى الحقيقة، أننى قد أصبحت فى خطوة وراء الأخرى بالرغم منى ودون أن أكون واعيا بذلك، مسلما بمشاعرى وفكرى..

ولم تبق سوى خطوة واحدة أخيرة، وهى أن أعلن إسلامى رسميا.

لحظة ميلاد... لحظة رائعة

«لا إله إلا الله محمد رسول الله»

نطقت بالشهادتين فى المركز الإسلامى بكولونيا.

«لا إله إلا الله محمد رسول الله».

واخترت لنفسى من بين الأسماء الإسلامية، اسم «مراد فريد»

وأصبحت منذ اليوم (١٩٨٠) مسلما.

وهكذا بلغت «مرادى».

***

مرة أخرى أقول إن إسلامه مشغول خيطا خيطا..

ومن هنا أعتز، به.

بهره من الإسلام أن المسلمين **يستطيعون الصلاة فرادى** اذا ما اقتضى الأمر ذلك، فى أى موضع طاهر وفى أى مكان. وفى هذا يكمن أحد أسرار قدرة الإسلام على المقاومة على امتداد فترة طويلة من الحكم الشمولى... وهو ما يفسر الحقيقة المذهلة لبقاء ملايين المسلمين الصينيين متمسكين بالإسلام، على الرغم من حكم ماوتسى تونج وقيام الثورة الثقافية، وهو مايفسر أيضا بقاء بضع مئات من العائلات الإسبانية المسلمة المحافظة على إسلامها ليس بعد ضياع الأندلس فحسب، ولكن فى ظل حكم فرانكو أيضا.

أقول: كون الإسلام للفرد وللأمة، على المستويين، **سر من أسراره.**

قد تنهزم دولة إسلامية وتلحق الهزيمة بالطبع شعب هذه الدولة ثم يبقى الإسلام... إنه ليس خارجيا يخضع للأشكال والشكليات... ولكنه داخل النفس وخارجها... إنه فى نسيج الفرد والمجموع.

والدكتور مراد فريد، كما يحب أن ينادى لا يخشى على الإسلام من التبشير بقدر ما يخشى عليه من التأثير الماكر والمستشرى لحضارة التكنولوجيا الغربية!!

ذلك أن للمجتمع الصناعى الغربى، كما يقول، **تأثيرا ساما على كافة الأديان،** بما فى ذلك المسيحية نفسها.. من خلال نشره لقيم مؤسسة على فروض مادية محضة. إن الفكر النفعى وتحقيق أقصى ربح، وعبادة زيادة الإنتاج بشكل مستمر، وأسطورة التقدم اللانهائى، وغطرسة علماء العلوم الطبيعية الذين تحولوا إلى فلاسفة، واستشراء مذهب «اللاأدرية» وتحييد القيم الأخلاقية لدى المتعلمين كل ذلك يحدد التوجه الغربى الكامل نحو إضفاء طابع عقلانى على كل مظاهر الحياة مما يشكل عدوانا غاشما على الأديان.

إن المجتمع التكنوقراطى الذى نعيش فيه فى الغرب، بعبادته للفرد، وتأسيس أخلاقياته على مبدأ (دعه يعمل، دعه يمر) يواجه فى الحقيقة خطر التدمير الشامل للأسس الأخلاقية التى ينمو عليها هذا المجتمع ذاته، أى القيم وأنماط السلوك المتجذرة فى إيمان أجدادنا بالله.

ونفذ الدكتور مراد ويلفريد هوفمان إلى اعتبار الإسلام، المسلمين أمة واحدة.

أقول لقد استلت فكرة (الأمة الواحدة) فكرة الاستعمار البغيضة فى دولة الإسلام. كان المسلمون يتنقلون فى أنحاء العالم الإسلامى دون قيود أو حدود.. فكان ابن خلدون يتولى القضاء فى مصر وكان الشيخ محمد عبده تتحلق حوله الندوة فى لبنان وكان الشيخ السبكى يقوم بمذهب التوفيق فى القرن السابع الهجرى وبعده الشيخ الشعرانى فى القرن الثامن الهجرى والثلاثة مصريون.

ويعى هذا جيدا الدكتور مراد ويلفريد هوفمان فيقول (قد يحسن بالذين لا يزالون يعتقدون أن الإسلام بطبيعته يعوق التقدم أن يقرأوا «المقدمة» أو الكتاب التمهيدى للمؤلف الشامخ فى تاريخ العالم ابن خلدون كتاب «العبر» المكتوب فى عام ١٣٧٧ (والذى ترجمه إلى الانجليزية فرانز روزنتال، برنستون ١٩٦٧). وإذا لم يكن ابن خلدون، كبير القضاة فى القاهرة، قد كتب أكثر من هذه المقدمة الواقعة فى ٤٠٠ صفحة لكفاه ذلك لأن يخلد فى تاريخ الفكر. وهكذا أصبح ابن خلدون قبل كارل ماركس، وماكس فيبر بنحو ٥٠٠ عام (خمسمائة عام) **الأب الحقيقى لكل من علم الاجتماع، وفلسفة التاريخ** مطالبا بأن يكون التاريخ، أكثر من مجرد سرد معلومات.

وكانت محاولته هى أول محاولة معروفة لاكتشاف القوانين التى تحكم دورات التاريخ، وصعود وسقوط الحضارات... وأفضى هذا المنهج بابن خلدون إلى الوقوف على التفاعل القائم بين المناخ والسلوك، وبين التخصص الحضرى (العمران) والسمات الثقافية.

ومضى الدكتور مراد ويلفيد هوفمان يعدد ريادات ابن خلدون فقبل كتاب "Budden brooks" لتوماس مان بزمن طويل، كان ابن خلدون قد أعلن أن «نهاية الحسب فى العقب الواحد أربعة آباء».

كما سبق ابن خلدون فردريك هيجل فى ملاحظته (أن للدول أعمارا طبيعية كما للأشخاص).

إن ابن خلدون فى رأيه ويقينه، **نتاج للثقافة الإسلامية فى أروع صورها.**

وعن تحريم الإسلام، الخمر وتجنبها: (كم من الآلام كان يمكن تجنبها، مثل حوادث السيارات، والطلاق، والتليف الكبدى.... لو أن الناس التزموا بتحريم القرآن، الخمر).

ما أروع وصفه، الطواف بالكعبة... ويبلغ الوصف ذروته فى قوله (الكعبة باعتبارها نقطة ثابتة وقبلة (يتجه اليها المصلى) تمثل مرساة رمزية لديانة عالمية تعلم يقينا أن الله ليس فى الشرق أو فى الغرب وإنما يتجاوز كل قيود الزمان والمكان).

وفى اليوم التالى لأدائه العمرة يقول وهو مأخوذ لا يزال (راودنا الأمل فى أن نكون وحدنا ولو لمرة واحدة فى هذا المسجد الآسر، فبالغنا فى التبكير بالاستيقاظ، حوالى الساعة الثالثة صباحا، وقبل الأذان الأول.. ولكن ذلك لم يجد، حيث كان مئات المسلمين يتدفقون ليل نهار بلا انقطاع للطواف).

وهنا يذكرنى بأول مرة اعتمرت فيها.. وما إن دخلت الفندق بعد وصولى وابنتى الأرض المقدسة حتى اغتسلنا ولبسنا الملابس البيضاء وقلنا نستريح قليلا قبل السعى إلى الكعبة التى كانت على مرأى من فندقنا الذى نزلنا، به.. حتى غلبنا النعاس دون أن ندرى لعله سلام النفس المؤمنة حين تطمئن أنها غدت فى بيت الله أو قاب قوسين أو أدنى... واستيقظنا فجأة وكانت الساعة الثالثة صباحا، أيضا فأعدنا الوضوء والاستعداد ونزلنا فإذا الليل الساطع الأنوار قد غدا نهارا حركة ونشاطا... ذكرنى الكتاب بتجربتى.

الكعبة... مع خيوط الفجر الأولى سعيت إلى البيت الحرام بعد سفر طويل... الطريق إليه مغطى بالناس الساعين المشوقين.. والمكان فيه مغطى بالطائفين الراكعين الخاشعين السجد الباكين... كل إليه مشوف.. كل به يطوف.. كل به تتعلق عيناه ويداه ورجاؤه ودعاؤه وتهيبه وولوعه.. ودموعه والورع.. من كل طريق اليه.. من كل فج عميق إليه يهرعون مهرولين زاحفين... حثيث الخطى فى خفة.. وقعيد محمول فى محفة... اذا استبد الشوق، بالمسلم، إليه لا يعرف الصعب أو المستحيل..

فى هذا البيت الله وحده الأكبر.. وهو وحده الأعلى وهو وحده الأعظم... هنا تسقط الأقنعة كل الأقنعة.. تسقط الزيوف... حيث الإنسان لا يستثنى غنى أو متعلم أو ملك أو أمير... الكل فى هذا البيت صغير.. صغير والعظمة لك.. ضعيف.. ضعيف والقوة لك... عاجز عاجز والحول والطول لك امحت الفوارق والفروق كبيرها والدقيق... بل لعل أشد الناس خشوعا وخضوعا.. بكاء ونحيبا الأشداء الأقوياء.. لعل التكفير عن غرور الإنسان.. لعلها الحقيقة التى غابت فى زحام المدينة.. لعلها الحاجة إليك... لعلها العودة إلى رحابك... لعله اللواذ ببابك... لعل...

كم تعلم ولا نعلم إنك وحدك علام القلوب والغيوب.

* * *

والدكتور مراد ويلفريد هوفمان شده استغراق المسلم فى الصلاة سواء حضرته الصلاة فى محطة بنزين، أو على الطوار، أو حتى فوق السقالات الشاهقة.

وفى رأيه أن قوة الحركة الإسلامية التى كثيرا ما ينظر الغرب إليها كلغز، قد ولدت فى النور، ونتجت من القدرة على الصلاة.

رحلة طويلة قطعها أشواطا حتى دخل فى الإسلام... أبحر طويلا فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف ثم قرأ كثيرا حولهما من كتابات الكاتبين وعنده أن من أفضل كتب السيرة: كتاب (سيرة رسول الله) لابن اسحق الذى حققه ابن هشام حوالى عام ٢٠٠ هجرية (ترجمة أ. جويوم، اوكسفورد ١٩٥٥) وللآخر كتاب حديث هو «محمد» حياته مستقاة من أقدم المصادر (نيويورك ١٩٨٣) لمارتن لنجز.

ويقف على محطات كثيرة فى السيرة العطرة.. فيرى قبول الرسول عليه السلام الهدنة فى الحديبية، والذى أثار مخاوف أصحابه، مناورة سياسية دبلوماسية من الطراز الأول، إذ سرعان ما أدرك أهل مكة أنهم قد وقعوا بأنفسهم على صك استسلامهم مستقبلا.

وبنفس الحكمة البارعة والرائعة أملى الرسول عليه السلام دستور وحدة المدينة..

فصل واحد أخالفه فيه هو فصل (الختان) فهو يرى الختان عرفا استنته التوراة.. أقول لم تستنه التوراة وإنما نقل اليهود هذه العادة الصحية من مصر القديمة كما نقلوا عادة طهارة الذبائح وكثيرا مما رأوا فى مصر قبل (الخروج) وقد نوه بهذا معترفا به، عالمهم فرويد فى كتابه عن موسى... وفرويد هذا هو القائل: (إن عقدة اليهود، سبق مصر فى الحضارة).

وفى فصل (الإسلام وعصر الازدهار البترولى) يقول إن الإسلام هو أكثر من مجرد التصنيف الطبقى، ودخل الفرد. إن هذا الدين لقادر على أن يمنح المرء مناعة قوية ضد عبادة المال والترف.

وعلى هذا الأساس فإن هناك أملا مشروعا فى أن يستطيع الإسلام بتجنبه لتجاوزات الحضارتين الغربية والماركسية اللينينية، أن يصبح البديل الأفضل: **البديل ذا الوجه الإنسانى.**

إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)

الاستغفار عند الانتصار... هنا يقول السفير:

(ياله من مبدأ مدهش! ولشد ما كان التاريخ الدبلوماسى سوف يصبح مختلفا لو أن رجال السياسة كانوا أكثر التزاما بهذه النصيحة: ألم يكن من الممكن تجنب قيام الحرب العالمية الثانية لو أن كليمنصو وبوانكاريه، قد التزما فى عام ١٨٨٩ بما جاء فى صورة النصر، بدلا من أن تستبد بهما مشاعر الكراهية والرغبة فى الانتقام من ألمانيا؟)

وفى معرض المقارنة الفاحصة بين الإسلام والحضارة الغربية يصف شباب هذه الحضارة بأن معظمهم محبطون ومتبلدون عاطفيا وقد تزعزعت ثقتهم فى الديمقراطية المطبقة، ومؤسسات الدولة، والسلطات العامة والخاصة بصفة عامة، وأنه لهذه الأسباب وغيرها تحوط نظرتهم للمستقبل شكوك خطيرة.

وهو يرى هذه الظواهر ليست سوى قمة لجبل جليدى، تختفى تحته تفسخات اجتماعية وثقافية تنبأ بها منذ وقت طويل، المراقبون اليقظون من علماء الاجتماع فى جامعة هارفارد من أمثال دانيل بل فى كتابه (التناقضات الثقافية للرأسمالية)، والبروفسير البلجيكى ليومولان فى كتابه (المغامرة الأوربية).

وفى هذه العملية تتجه القيم العريقة، كما يقول، نحو الانحراف... يمكن أن تتحول الفردية الى النرجسية، وتقرير المصير إلى فوضى، والتسامح الى تحييد القيم، والمرونة الى نبذ التقاليد، والرخاء الى عبادة المتعة، والكد إلى الإفراط فى الاستهلاك، والاقتصاد الى إدمان العمل، والتنافس إلى تسابق دام، والحساسية إلى وسوسة، والأخوة إلى شمولية، والمساواة إلى التدنى، والثقة فى الله إلى عقلية تفتقر إلى المبادرة.

إنها أعراض التداعى الهيكلى الزاحف على العالم الغربى.

ما الحل؟ ما العمل؟ إنه يرى أن هذا الجيل يشعر بحاجته الملحة إلى مقومات ايديولوجية ودينية. ولايزال هذا الاحتمال ضائعا فى وقتنا الحاضر، إذ لا يزال الشباب متأرجحا ما بين بدائل الماركسية ومذهب الخضر، والباجواش. ومع ذلك فليس من المستبعد أن تجد هذه الحاجة الملحة إلى الالتزام الدينى والرضا الدينى ضالتها فى اعتناق دين غير أوربى مختلف تماما، يروق للشباب، حيث يجدون فيه ترياقا شافيا من شرور المادية، وتوثيقا لعرى الأخوة، وتخلصا من الطبقة السلطوية الدينية وقادرا بطبيعته على أن يكون دين الفطرة: أى «**الإسلام**».

وفى رحلة الإيمان يؤمن إيمانا عميقا يأسر النفس بالآية الكريمة (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)

لقد لاقى من المعاناة ألوانا

انهمرت القنابل الأمريكية والبريطانية على مدينته كل أسبوعين اثناء الحرب العالمية الثانية.

روعته سيارة صدمت سيارته وخلفت الكثير..

قام أحد المخبولين فى تنيسى بإطلاق رصاصة اخترقت زجاج نافذة مقصورته فى القطار... لم تخطىء رأسه إلا ببضع بوصات، أثناء رحلة عودته إلى واشنطن.

وفى سنة ١٩٧٦ اكتشف الأطباء ورماسرطانيا فى كليته اليسرى. معاناه لا يقوى عليها إلا أولو العزم.

ولكن عمق إيمانه بالله فى ظل إيمانه بالإسلام كان سندا وسنادة وعزاء.

ولا يزال يتمتع بعذوبة الفكاهة التى لا تنبع إلا من سلام نفسى وصفاء روحى.

سألته جارته الإسبانية على المائدة سؤالا غير لائق يتعلق بالدين فرد باقتضاب ولكنه يعلق على أسلوبها قائلا:

(ألم تعلم من دروس الاتيكيت أنه يجب عدم الخوض فى أمور السياسة والدين والصحة على مائدة العشاء؟).

وعن **القرآن والعلم** يرى أنه لا يوجد بيان قرآنى واحد لا يمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمى... ومع هذا لا يؤيد حماس المغرمين بالربط بين القرآن والنتائج العلمية الحديثة... لأن النتائج العلمية مهما بلغت قد تتغير... قد تتعدل... قد يعدل عنها...

والقرآن الكريم هدفه الأسمى هداية البشر والارتقاء بالنفس الإنسانية وهذا المطلب يعجز عنه العلم حين يمنحه الدين

ليس القرآن كما يقول ملخصا لعلوم الفيزياء والأحياء والكيمياء.. إنه أكبر..

ومن أروع فصول الكتاب فصل (الإسلام والتوتر العصبى)..

بعد العرض لأسباب التوتر فى حياتنا الحاضرة، خلص إلى هذه النتيجة.. ومؤداها أن المسلم الحقيقى لا يمكن أن يكون شخصية تتعرض للتوتر الزائد عن الحد، والعكس صحيح

فالكحول؟ محرم

والنيكوتين مكروه نتيجة لشبهة الإدمان.

والكوليسترول مشكلة يسهل حلها مادام ليس هناك تناول للحم الخنزير.

والوزن الزائد يمكن إنقاصه بصوم رمضان

وخشية الفشل يحرر منها، الاعتراف بأن (الله أكبر) يعنى التسليم دائما بحكم الله.

اللياقة البدنية تنطوى الصلاة على تأثير ايجابى فى هذا الصدد فوق ما تسكبه فى النفس من سلام وتطهر وبعد عن الشر والمنكر والآثام.

تنشيط الدورة الدموية؟ إن الوضوء ينشط الجهاز العصبى التلقائى

إن الحياة طبقا لأحكام القرآن والسنة هى حياة صحية جسديا ونفسيا.

وعنده سبب آخر لرؤية الإسلام، ترياقا لا يعول على المخدرات لمواجهة المشاكل الأساسية فى المجتمع الصناعى المعاصر.

ومن الطريف قوله إنه بصفته فى موقع رئاسى يعرف عم يتحدث ولهذا يحتفظ بسجادة الصلاة فى حقيبته.

أعود إلى الصفحات الأولى من الكتاب الذى ترجمه الدكتور عباس رشدى العمارى – يقول الدكتور مراد ويلفريد هوفمان، إن سيارته صدمتها سيارة كانت تسير بسرعة ٩٥ ميلا فى الساعة (وكانت فرصتى للنجاة من هذا الحادث تعادل تلك التى كان يمكن أن أحظى بها فيما لو أنى قفزت من الطابق الخامس من مبنى مرتفع.

وعندما كان الجراح يحاول اعادة وجهى الممزق الى ما كان عليه، تساءل بصوت مرتفع عما كان عليه شكلى قبل الحادث، وتمكنت بحركة من رأسى أن أشير إلى أنه يمكنه أن يعثر على جواز سفرى فى طقم ملابسى «الجينز» المخضبة بالدماء. وأخذ الطبيب لبعض الوقت يجيل بصره على التوالى بين صورتى فى جواز سفرى وتقاطيع وجهى الممزقة، ثم همهم مترددا بأنه يمكننى أن أجرى جراحة تجميل بعد بضع سنوات.

وأضاف بتحفظ وهو يحقننى بجرعة مورفين فى أول ليلة بالمستشفى:

– «ياعزيزى إن المرء لا ينجو فى مثل هذه الحوادث! لعل الله قد ادخر لك شيئا فى المستقبل»

وبعد ٢٩ عاما، أى فى ٢٥ سبتمبر عام ١٩٨٠، استطعت أن أدرك معنى هذا.

أسأل: هل كان إسلامه هو الذخر الزاخر المدخر؟

نعم فقد كان إسلامه حياة ثانية غالية.. نفيسة.

وقد أدرك هو هذا.

لا يزال فى الكتاب الكثير والمثير فلم يكن إسلامه اختيارا سهلا أو سريعا ولكنه «اختار» بعد أن أبحر طويلا فى الإسلام، وفى الأديان، وفى الكتب، وفى الأفكار، وفى المقارنات، وفى التاريخ... وكان تقييمه دقيقا وعادلا وفاضلا فقد درس القانون دراسة عالية فحصل على الماجستير فيه من جامعة هارفارد، وعلى الدكتوراه فيه من جامعة ميونيخ.. وزار بحكم عمله الدبلوماسى البلاد وعرف بمواهب، الكشف، فيه، الشعوب واستقرأ الأحداث والناس بل الوجوه وأنماط السلوك. سعى.. ووعى... وتدبّر... وفكّر... وقدّر... واستوعب... وارتوى ثم روى فكان هذا الكتاب.